مجلة الحقيقة
مجلد: 17 عدد:03 – سبتمبر 2018 (العدد 46 من التسلسل السابق)
ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

البديع ودلالاته في بردة محمد بن سعيد البوصيري.

Albadi and its connotations in Alborda of Mohammed bin Said Al-boussayri

تاريخ ارسال المقال:2017/08/13

تاريخ قبول المقال :2018/06/28 تاريخ نشر المقال:2018/09/30

د. الحسين سريدي

- جامعة الجيلالي اليابس– سيدي بلعباس

sridihocine@gmail.com

ملخّص:

البديع ظاهرةٌ جماليَّة يأتي الشاعر بموجبها بالمعنى المبْتكر الذي يَتَعالى عن المأْلوف، إذْ تميّزت بُرْدة البوصيري بالرَّصانة، والجزالة، بالإضافة إلى التَّوهُّج الصُّوفي المكسو بالبديع المقترن بالجمال اللَّفظي، والمعنوي حيث اكتست رَونقاً، جعلها محطَّ أنظار الباحثين، وجَهَابِذَة النَّقد، ومن ثمة تعدَّدت المشارب، والمقاصد ليحصل التَّأثُّر، والتَّأثير المؤدِّيان إلى التَّطوُّر؛ ومِنْ ذلك – على سبيل المثال– تصنيف القصيدةِ ذاتِها ضمن البديعيات.

الكلمات المفتاحيَّة: البديع، الجماليَّة، المعنى، الدّلالة، الجمال اللفظي.

Abstract:

Badie is an aesthetic phenomenon where the poet innovates the sense that transcends the ordinary, like Alborda of Al-boussayri was characterized by sobriety and wealth, besides the mystical gleaming which coat by Badie associated with the Verbal beauty, and moral where it takes elegance, making them the object of attention of researchers and geniuses of criticism, and there are many destinations to get impact, and influence to lead to Development; It is that - for example - the classification of the poem itself in Albdieiat**.**

Keywords: Badie, aesthetics, sense, Connotation, verbal beauty.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

مقدّمة:

يعدُّ ولوج عالم النص صورة شفافة، كاشفة عن التقاء الذَّات المبدعة بالمؤثِّرات الوجدانيَّة المشحونة بمضامين انفعاليَّة، وفكريَّة، وعاطفيَّة، تؤكِّد على اختلاف الباحثين في دراستهم ***لجماليَّة*** النص، بالتفتيش عن قيم الفن، والجمال الذي تلعبه ***الظواهر البديعية***، أما الهدف من الدراسة فيتمحور أساساً حول معرفة إمكانيَّة توخِّي الأحكام المعياريَّة، والتذوقيَّة في دراسة دلالات البديع في بردة البوصيري. لكن، هل أنَّ التركيز على المضامين السيكولوجيَّة، والحُمولات النَّفسيَّة لبردة البوصيري كافٍ للحكم على جمالية الظواهر البديعية؟، وهل كان ***البديع*** تُربةً خصبةً لمفرداتٍ متناميَّة الجماليَّة، والتَّصوير المشكِّل لشعريَّة الخلق، والإبداع؟. وفي ضوء تلك التَّساؤلات عالجنا الموضوع بالتعرّض إلى أصل كلمة بديعيَّة أول الأمر، مروراً إلى مفهوم البديعيات، لنخلص إلى صور البديع في البردة البوصيريَّة، والتطرّق لظواهره حسب الحضور الكمّي، والهيمنة التي بَرْهَنَتْ جودة الصياغة، وبراعة الأداء التّعبيري، المنسجم والمواقف الفكريّة، والانفعالية المعبّرة عنْ شاعريّة الشّاعر.

1/- أصل كلمة بديعيَّة:

لمعرفة الأصل اللُّغوي لكلمة بديعيَّة تجدر العودة إلى اشتقاقها اللُّغوي، ومادَّتها الأصل؛ فقد جاء في المعجم الوسيط مَا نصُّه: « بَدَعَه– بِدْعاً: أَنْشَأَهُ على غير مثال سابق، فهو بديع. بَدَعَ– بَدَاعَة: وبدوعاً: صار غاية في صفته خيْراً كان، أو شراً، فهو بديع (...) ونقولُ: بَدَعَهُ؛ أيْ: استخرجه، وأحْدَثه». [1]

ورد في مُعجم مقاييس اللُّغة: « بدع: الباء والدَّال والعين أصْلان: أحدهما ابْتداء الشيء، وصنعه لا عَنْ مثال، والآخر الانقطاع، والكَلل، فالأول قولهم: أبْدَعْتُ الشيءَ قوْلاً،

(1) مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج/01، مجمع اللُّغة العربية، جمهورية مصر العربية، د.ط، 1889، ص43.

أو فِعْلاً، أَيْ: ابْتَدَأْتُهُ لا عَنْ سابق مثال (...) وفلان بَدَعَ في هذا الأمر، ومنه قوله تعالى:« مَا كُنْتُ بِدْعاً من الرُّسل»، أيْ: ما كنت أوَّلاً». [1]

تتباين التَّعاريف، أو تتَّفق بشأْن ***البديع***، لكن: هل أنَّ مقدرة الشَّاعر على خلق صور بديعيَّة هي تحصيلٌ حاصل للْابْتكار، أو البراعة اللُّغوية، والفنِّيَّة؟، وهل تُعَدُّ هذه الظَّاهرة سِمةً راقيَّة دالة على شعريَّة اللُّغة؟، وكيف ساهَمَتْ في تَشْييدِ صرْح المعجم الشِّعري؟.

2/– مفهوم البديعيَّة:

البديع ظاهرةٌ ***جماليَّة*** يأتي الشاعر بموجبها بالمعنى المبْتكر الذي يَتَعالى عن المأْلوف. ومِن هذا المنْطَلق « نظر أهل البديعيات لهذا الفن على أنَّهُ: ***سلامة الاختراع***».[2]

تَتَعَدَّدُ وجهات النظر حول الكلمة عينها؛ بُغْيَةَ الوُصول إلى سُنَنِ التَّعارضُ الفِكْرِي المؤدِّي بدوره إلى فتح المجال أمام البحث، والتَّنقيب، وتقصِّي الحقائق، والمرْجِعِيَّات؛ وكُلُّ ذلك راجعٌ إلى أنَّ هذا المفهوم لَمْ يَنَلْ حظَّهُ الوافِرْ في المعاجم اللُّغويَّة.

يُعدُّ فن ***البديعيات*** صناعة فكريَّة، وأدبيَّة، لها صلة مباشرة بشعر حقائق العلوم، والفنون، كما يرتبط بالسِّيرة النَّبويَّة المكسوَّة بالنَّزعة الدِّينيَّة التي لها صلة قوية بهذا الفن. [3]

تتمحور ***البديعيات*** حول مضامين عامة، تجمع سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم– وفق سياق المدح المُحَلَّى بالبديع، المؤدِّي إلى المهارة الفنِّية ذات الطَّابع الجَمَالي، الذي يحشر اللَّذة الجماليَّة المترامِيَّة الأطراف في القصيدة، إذْ طاوعت جميع المعاني بحُمولاتها العاطفيَّة، ووزنها الوِجْداني الرَّهيب، وفق وزن، البسيط وروي الميم المكسورة؛ مِنْ أجل سمو الأسلوب.

(1) أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللُّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج/01، دار الجيل، بيروت، ط01، 1991، ص 209.

(2) أحمد مطْلوب، معجم المصطلحات البَلاغيَّة وتطوُّرها، د.د، بيروت، د.ط، 2000، ص. ص 23 – 24.

(3) ينظر، محمود رزق سليم، عصر المماليك ونتاجه الأدبي والعلمي، مج/08، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 1965، ص177.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

يرى ابن حجة الحموي أنَّ « مُصطلح ***البديعيَّة*** يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبديع، إذْ أنَّ المتأمِّل للقرنين، الثَّامن، والتَّاسع، يُدرك أنَّ الشُّعراء، والأُدباء أَوْلواْ البديعَ عناية خاصة، وتميَّز بعضُهم بنظم البديعيَّات التي تُعتبر بِحقٍّ دراسات في هذا المجال، لا تكادُ تعْدُوهُ». (1)

يتضح من خلال هذا التَّعريف أنَّ ***البديعيات*** خلاصة دراسة مُعمَّقة في علم البديع، بيْدَ أنَّها ترتبط بمدح الرَّسول– صلى الله عليه وسلم– وذكر سيرتِه العطرة، المفعمة بالنَّزعة الدِّينيَّة، إلا أنَّ الزخرفة اللَّفظيَّة، والتَّأنُّق فيها لا يُنْكر دورهما في هذا الجانب، لِما له مِنْ حصيلةٍ مُسْتفيضةٍ، تهزُّ الإبداع، والتَّذوُّق الجمالي لمحاولة خلق ترياقٍ سحْريٍّ وفق براعة فنِّية وجماليَّة، تفرض هيمنتها، ووُجودها.

« تعدُّ البديعيات قصائد منظومة في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم– على وزن البسيط، وروي ***الميم*** المكسورة (...) كَمَا حلَّاها أصحابها ***بالبديع*** صراحةً، أو إشارةً».(2)

لكن، هل تنطبق هذه الشروط على متن البردة البوصيريَّة؟.

أكَّد زكي مبارك* في حديثه عن المديح النَّبوي على براعة البُردة البوصيريَّة؛ بحكم كونها تشْتَمِل على كوكبة راقية من فنون البديع، وصرِّح – على حدِّ تعبيره– أنَّ أثر البردة البوصيريَّة كائنٌ في الأدب العربي، حتى عارض منوالها ثُلَّةٌ من الشُّعراء، ومِنْ ذلك ظهر فن البديعيات التي تغنّى أصحابها بمدح الرسول – صلى الله عليه وسلم– بشرط أنْ تحْوي أبياتها ألوانَ البديع. (3)

هل يشترط في البديعيات روي الميم المكسورة؟ وما دلالاته؟.

(1) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج/01، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط01، 1987، ص08.

(2) محمد بوزواوي، مصطلحات الأدب، دار مدني، د.م، د.ط، 2013، ص 61.

* **زكي مبارك:** أديب وشاعر، وصحفي مصري، حصل على ثلاث درجات دكتوراه متتاليَة حتى لُقّبَ بالدَّكاترة زكي مبارك. (خليف غالب، مَنْ هو الدّكاترة زكي مبارك، جريدة الشَّرق، المَمْلكة العربيَّة السَّعوديَّة، ع: 1223، 10 أبريل، 2015، ص **11**).

(3) ينظر، زكي مبارك، المدائح النبويَّة في الأدب العربي، مطْبعة صَيْدا، بيْروت، د.ط، 1935، ص205.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

أثبت عبد الوهَّاب حسن الشيخ أنَّ: « البديعيَّات قصائدٌ مِنْ بحر البسيط ميميَّة الرَّوي، وغالباً ما تُعارض ***بُرْدة البوصيري***، التي خصَّ بها مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم». [1]

إنْ كانت بُردة البوصيري المحرِّك الأساس الذي فتح الباب على مِصْراعَيْه مِنْ أجل المعارضة فهي من ***البديعيَّات***، المعبّرة عن واقع التَّجربة، والزَّخرفة الفنِّيَّة، والبراعة اللُّغويَّة، أمَّا ما نشأ حول هذا الفن مِنْ تضارب، وجِدال فكريين ما هو إلا تحصيلٌ حاصلٌ حول أهميَّة البديع، ورُقيِّه اللامحْدود. لكن، إلى أيِّ مدى أَكْسَبَ البديعُ ميميَّةَ البوصيري إحْياءً نفسياً، مكَّن الشَّاعر مِن مُعانقة الإبداع اللُّغوي؟، هلْ أنَّ توظيف البديع مردُّه إلى طبع الشاعر، وسلامة ذوقِه؟، أو نتيجة الاستحواذ على اللُّغة؟، وهل يعدُّ عمل البديع إستراتيجيَّة فنِّيَّة تعمل على تحريك نمط اللُّغة المنزاحة؟.

3/– صور البديع في بردة البوصيري:

أجاد النّاظم في توظيف البديع حتى طَاوَعَ اللُّغة الخطابيَّة، واعْتَكَف العبارات العذبة المكسُوَّة بالألفاظ الحِسان، وهذا ما غطَّى أسلوبه بجملة من القيم التعبيريَّة، والمعنويَّة التي بدورها أَكْسَبَت النّص مَسْحَة فنّية، ومعنويَّة، فإلى هنا نتتبّع صور البديع في بردة البوصيري حسب الهيمنة، والحضور الكمّي الذي أثبت جودة الصياغة. ومن ذلك:

1.3 التجنيس بأنواعه:

وظّف النَّاظم ***التجنيس الناقص*** بين كلمتي: (دَمْع، ودَم) لوجود تباين مردُّهُ إلى الزِّيادة الحرفيَّة بين الكلمتين، إذْ أنَّ الدَّم ساكنٌ لا يتحرك لعدم وجود هيجان نفسي لدى الشاعر، أمَّا الدَّمع فهو شيءٌ يتحرك؛ وتكمن دلالته في استحضار الذِّكريات المُصاحِبة للتّحسُّر، والألم، كما أنَّ التَّذكُّر حالةٌ شعوريَّة صادقة ناتجة عن عدم النِّسيان، وذلك ضربٌ من المعرفة اليقينيَّة التي تنْبَني عن التشخيص، وفي هذا يقول النَّاظم:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ؟.[2]

(1) عبد الوهاب حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، د.د، د.م، د.ط، 2000، ص10.

(2) البوصيري، الدِّيوان، دار المعرفة، بيروت، ط01، 2007، ص 234.

مجلة الحقيقة ISSN: 1112-4210
مجلد: 17 عدد:03 – سبتمبر 2018 (العدد 46 من التسلسل السابق) EISSN: 2588-2139

بالمقابل نجد ***التَّجنيس الشبيه بالاشتقاق***، بين لفظتي: (جيران، وجَرَى)، وفي هذا الجانب تتشابه الكلمات في الحروف، وليس بينهما اشتقاق من الأصل. (1)

تظهر نورانية المعنى من فيض عاطفي راقٍ؛ لأن الجيران تدلُّ على الأُلفة، وبساطة العيش، أمَّا لفظة: (جرى) تدل على السرور المصاحب للأسف على مفارقة الأحبة وفي ذلك شيءٌ من التَّعلُّق بالحبيب– صلى الله عليه وسلم– كما يظهر سرُّ الإبداع في التناقض المثير للغموض؛ إذْ أنَّ الجمع بين المفارقة، والأُلْفة هو إشارة للتَّجانس بين الألفاظ، لكن ذلك حقَّق نوعاً من التَّعارض المبني على الاختلاف الذي بدوره يرمي إلى التَّناغم المعبِّر عن شعريَّة المشهد الوجداني، الذي كان عاملاً مهماً في خلق فضاءٍ رحب من الإيقاع الدّاخلي.

تضمَّن البيت الخامس ***التَّجنيس الشَّبيه بالاشتقاق***؛ من خلال التَّوافق بين كلِمتي: (تُرِقْ، وأرِقْتَ)، لكنهما تختلفان من حيث المعنى؛ إذْ تدلُّ الأولى على صب الدَّمع، وجريانه مجرى الماء على الخد، بينما تعبِّر الثَّانيَّة عن السَّهر، وذهاب النَّوم، الذي كان سببه البُكاء المتواصل بلا انقطاع؛ فإنْ كان النوم حالة فيزيولوجيَّة، فالأَرق لدى النّاظم أَبْطَل عملها من خلال الاضطراب النَّفْسي حتى بَرز بشكل جليٍّ بفضل تحسُّر النّاظم على ذنوبه، ومعاتبة نفسه على عدم الاستقرار، وتحقيق الطمأنينة، إلى أَنْ فوَّض أمْره إلى الله عزَّ وجل.

بلْ ليس هذا وحسب، بل أنَّ الدَّمع يُعبِّر عن الغضب، والانفعال، وهو ما يؤدِّي بصفة آليَّة إلى السَّهر، وذهاب النَّوم، وبالتَّالي اضْطراب النَّفس، بالإضافة إلى أنَّ الرَّجاء من جريان الدُّموع هو التماس العطف، والشَّفقة، والتَّأثير في النُّفوس؛ لأنَّ الحالة التي صَاحَبَتْ تلك الوقائع هي عمليَّة استجابة لتوتُّر نفسي ليس إلاَّ.

وظّف النَّاظم ***التَجْنيسّ التام*** بين كلمتيْ: (شهْوتها، وشهوة)؛ لأنَّ الأولى منهما تتعلَّق بشهوة النفس من دون تِبْيان حقيقتها؛ أمَّا الثَّانيَّة فتتعلَّق بشهوة النَّهم، وهو الإنسان الذي يُفْرط في الشيء، ويتلهَّف عليه بزيادة، وفي هذا يقول:

فَلَا تَرُمْ بِالمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِـهَا   إِنَّ الطَّعَـامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ. (2)

---

(1) ينظر، أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، د.ط، 2009، ص 261.

(2) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص 227.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

يقول النّاظم:

يَا لَائِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَم تَلُمِ. (1)

تضمّن البيت نوعين من الجناس؛ ***تجنيسّ شبيه بالاشتقاق*** بين كلمتي: (العُذْرِي، ومَعْذِرَة)، و***تجنيس الاشتقاق*** بين كلمتي: (لائِمي، وتَلُمِ)، لكن « تجنيس الاشتقاق هو ما يجمعُ المتجانسين فيه اشتقاقٌ من الأصل». (2)

إنْ كان الهوى العُذْري يتميز بلهب الشَّهوة، فإنَّها ستخْمُدُ إذا صاحبَ ذلك لومٌ حقيقيٌّ، أمَّا إذا زاد فتيلُ الحُبّ فإنَّ الخيال سيَغْلُبُ على دولة الهوى بإيعازٍ من الشَّهْوة؛ حينئذٍ تخْترع المخَيِّلة الجمال، وتبْدع في تصويره، لذلك نجد الاختلاف قائماً بين الهوى العذريِّ، والمعذرة، وهو ما يشكِّل تجانُساً شبيهاً بالاشتقاق، بيْدَ أنَّ اللَّوم الذي يصدُرُ من اللَّائم سَيُشْعِلُ فَتِيل الغرام في نفسِ المحِب حتى يصبح اللَّومُ نتيجَةً له، ومن هذا المنطلق تَعارض اللَّفظان المشكِّلان لتجنيس الاشتقاق، إذ ساهم هذا الأخير في فضاء الإيقاع الدّاخلي، كما أنَّ اللَّفظين يحملان دلالةً ترتقي إلى درجة الحُب الرَّوحاني بالانتقال من حضِيضِ المادَّة إلى سماء الرُّوح، ومِنْ شهوة البَهائم إلى الفردوس الغَرامي الذي تَبْتَدِعُهُ الخُلْوة العَقْلِيَّة، إذْ ترتقي هذه الأخيرة بدورها إلى درجةٍ عاليَّةٍ مِن الشَّاعريَّة المشكِّلة لشعريَّة اللُّغة، وجمال الصورة البَدِيعيَّة، القائمة على التَّجانس، والتَّوافق الحاصل في اللَّفظ، ومن هذا المنطلق أكسب روي الميم المكسورة العمل الشعري تناغماً صوتياً، وتطريباً هو من صميم النّفس الوجداني.

وظّف النّاظم جملةً من ظواهر البديع، ومنها ***تجنيس الاشتقاق*** بين كلمتَيْ: (راعها والمرْعى)، و***التَّضاد*** بين كلمتَي: (سائِمةٌ وتُسِمِ)؛ ولمّا ارتبط التَّجنيس، والتَّضاد بالنَّقيض وجَب على النَّاظم المزاوَجة، والمزج بين رعاية النَّفس، وتركها، لكن حلاوة البقاء الأَبَدي، وراحة الإنسان تظهر في التَّلذُّذ بالطَّاعات، وتحمُّل المشَاق، وكلُّ ذلك يظهر في انْشراح الصَّدر، ومتعة القلب، وفي هذا يقول:

وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فَلَا تُسِمِ. (3)

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 227.
(2) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (م. س)، ص262.
(3) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص228.

بيْدَ أنَّ مَنْ ذاق طُعم الإيمان يصعُبُ عليه أنْ ينحرف، أو يُولِّي وجْهَهُ شطْر غيره؛ لأنَّه يُضَحِّي بكُلِّ شيءٍ في سبيله، وهذا لا يعني أنَّ النَّفس التي تتَلَذَّذ بالمرْعى في هواها ستبقى على حالها؛ لأنَّ ذلك سيُقطِّعها إرَباً إرَباً وهي غافلةٌ، وبالتَّالي تتحرَّرُ من الهوى، والنزعات الشيطانيَّة، الأَمَّارة بفعل المنْكرات، فيجب عليها بعد ذلك الإخلاص لله عزَّ، وجل بالابْتعاد عن المناخ الجاهلي الذي يُخيم على الذَّات حيال تأديبها.

مزج النّاظم بين جملة من الظواهر البديعيَّة، ومِنْ بينها: ***التَّجنيس النَّاقص***؛ حيث نجدُه بين كلمَتَيْ: (السُّم، والدَّسم) أمَّا من حيث اختلافهما في المعنى فيتجلى من خلال كون: (السُّم) يرمز إلى الضر، والهلاك، بينما يدل الدسم على ما ينفع النفس، ويُشْبع رغباتها، وفي هذا يقول:

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ. (1)

يزداد وصف النّاظم لمقام سيد الأوَّلين؛ ففي حديثه عنْ عظمته، ورِفعته – صلّى الله عليه وسلم– يوظِّف **تجنيس الاشْتقاق** بين كلمتَيْ: (الشُّم، والشَّمَمَ)، إذ ساهم هذا اللّون البديعي في الإيقاع الداخلي من خلال التَّوافق بين الكلمتين، أمَّا من حيث المعاني فالكلمة الأولى تدلُّ على الجبل العظيم، والثَّانيَّة تدل على الإنسان، إذْ أشار له بالشَّمم؛ لارتفاع قصبة الأنف، وفي هذا يقول:

وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِـنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ. (2)

ولما كان الجبل العظيم أجدر بالوصف كان لِزاماً على النَّاظم تحلية هذا المعنى بعظمة الرَّسول – صلى الله عليه وسلم– كما أنَّ الماء العذب، والجبل المرتفع المعبّران عن الطَّهارة، والصَّفاء صاحَبَا مدح صاحب الأخلاق الفاضلة، وذلك قمّةُ التَّوحُّد المعْنوي بين سياقي مدح رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم– والجبال التي ظلَّت تؤازرُه، وتواسيه.

وحينما ذكر النَّاظم مُجْمل الصِّفات التي تحلَّى بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أرْدَف الحديث بِما يُماثِلُهُ، ويضاهيه، فهو الذي يترفَّع على مشاركة أحدٍ من الخلْق

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص228.

(2) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص229.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

إيَّاهُ في المحاسن، وفي ضوء ذلك نلمس ***تجنيس الاشْتقاق*** في هذا السّياق بيْن كلِمَتَي: (محَاسِنِه، والحُسْن)، في قوله:

مُنَزَّهٌ عَـنْ شَرِيكٍ فـي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيرُ مُنْقَسِمِ. (1)

تتمثّل دلالة هذا النوع في إبراز الهيبة، والتَّعظيم الذي خصَّ الله سبحانه وتعالى به نبيَّه الكريم– عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم– كما أكّد النّاظم على هول ملوك كسْرى منْ تلك الشَّخْصيَّة التي ارْتَجف منها الطُّغاةُ الجَبابرة، وكُلُّ ذلك يُحيل إلى تواضعه، ومحبَّته الباعثة على المودَّة التي هي من دواعي السَّعادة، وقوانين الرِّسالة، بالإضافة إلى رجاحة العقل، وسعة التَّفكير، والأخذ بالمشورة، ورأي الغير.

أمَّا ثباته في الشَّدائد، وصبره على البَأْساء، والضَّرَّاء، ونفسه حائرة جعله يتّبع رأي مَنْ حوله، حتى سكن نفسَه الصَّبْرُ، والثَّبات على المسْكِ بمقاليد الأمور، إذْ لا يتأتَّى ذلك إلا بالحلم، والوقار عنْ كلِّ طيشٍ يهزُّه، أو طاغٍ يسْتَفِزُّه؛ لأنه أفصح العرب لساناً، وأوْضَحُهم بياناً، وأوجَزُهم كلاماً، وأجزلهُم ألْفاظاً.

أورد الناظم سياق الإعجاب بالأَمَارات، والعلامات التي ظهرت مع ولادة النبي – صلى الله عليه وسلم– مقروناً بتوظيف ***التجنيس الشبيه بالاشتقاق***، ومِنْ ذلك ما حدث بفضل النُّور المبين الذي قضى على دلالات الجهل، والضَّلال، بالإضافة إلى تبشير، وإنذار الذين كفرواْ بدين محمد – صلى الله عليه وسلم– بالعواقب الوخيمة الدَّالة على العذاب، والنِّقمة.

نعود تارة أخرى إلى ***تجنيس الاشتقاق*** بين كلمتَيْ: (مُصَادِمهم، ومُصْطَدَم)، فإنْ كانت كلمة: (مُصادمهم) اسم فاعل من الفعل: (صَادَم)؛ وهو الإنسان المدافع عن قومه، والفارس الذي له حقُّ الشَّجاعة في التَّقدُّم في صعاب الأمور، فإنَّ المصْطَدَم هو مكان الاصْطِدام، أيْ العراك الذي يجْري بين شخصين، وتتمثل دلالة هذا السِّياق في إبراز صلابة، وبسالة الصَّحابة – رضوان الله عليهم– بالإضافة إلى اقتفاء آثارهم، واتِّباع نهجهم في الصَّبر، ورجاحة العقل، والتَّفكير، وعدم الاسْتِسْلام للنَّائبات، والخُطوب، وفي هذا يقول النّاظم:

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 230.

هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ. (1)

وظّف النّاظم ***التَّجنيس المحرَّف*** بين كلمتيْ: (الحزْم، والحُزُم)، إذ يدلُّ هذا اللون البديعي على اجتماع القوَّة، والصَّلابة التي هي من صفات صحابة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم– مع العزيمة التي هي صفةٌ تلك المراوغات، ومن هنا تتجلّى شعريّة الإيقاع الدّاخلي في الكشف عن قوة الصوت أحياناً، وانقطاعه أحياناً أخرى؛ وخيرُ دليل على ذلك أنَّ حالة الصَّحابة الكرام، وهم يمتَطُون الخُيول أظهرت ثباتهم مرةً، وتفرقهم أخرى؛ لأنَّ الرَّأي لا يصبح واحداً إلا بعد إعمال الفكر، والمنطق، وفي هذا يقول:

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شَدَّةِ الْحُزُمِ. (2)

لكنَّ الجري، والمنافسة إلى نصرة الدِّين الذي جاء به رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم– هو خير دليلٍ على أنَّه دينُ الأمة جمعاء، أمَّا الضمير (هم) الوارد في صدر البيت يعبّر عن أولئك الرجال الأخيار الذين صَحَبواْ رسول الله – عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم– ومن ثمة آمنواْ بدعوته، وتتمثّل دلالته في تجلُّدهم في حمايته، واجتماعهم تحت مظلَّة واحدة، مؤيّدة لتعاليم الإسلام، ورد هجَمَات المشركين، وتفضيل الموت على الحياة؛ للسير على رحى الجهاد في سبيل الله، وكُلُّ ذلك من باب الإيمان برفع مقام سيِّد الأولين، وإمام المرسلين.

يقول البوصيري:

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ وَجَزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ. (3)

وظّف الناظم ***تجنيس التَّصحيف*** بين كلمتيْ: (حُزْتَ، وجزْت)، أمَّا الأولى فتدلُّ على نيل المراتب، والثَّانيَّة تدُلُّ على قطع السُّبل الوَعْرة، لكن ***دلالته*** تتعلَّق بعدم مشاركة أيِّ أحدٍ من الخلق للرَّسول – صلَّى الله عليه وسلم– في الدَّرجات، ومقام الرّفعة، والشَّرف، وهذا إنْ دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على أنَّ لا نبيَّ بعده، ولا إماماً للأمَّة سواه.

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 235.

(2) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 235.

(3) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 234.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

وردت الرَّحابة المعنوية عينُها بسياق يُنفِّر الأمة من المادة حتى لا تطغى على حياتها، أو على سلطانها آلة صمَّاء، تدور رحاها في دوَّامةٍ من الطَّمع، فلا تلتفت إلى حقيقتها إلا حين تُحِيطُ بها المتاعبُ، والخُطوب، ولمَّا كانت المجتمعات أحوج إلى التَّشبُّث بأخلاقيات الفِطرة، سَعَتْ نحو الهروب من مأزق التَّعاسة، والشَّقاء.

يتجلَّى من خلال هذا السِّياق رفع درجات الصَّحابة الذين ارتقواْ بأخلاقهم؛ إذْ كانواْ سبَّاقين لدفع الأذى عن رسول الله – صلىَّ الله عليه وسلَّم– حيث تتناسبُ هذه المعاني مع سياق الآية الكريمة التي يقول فيها سبْحانه وتعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُود ذَلِكَ مَثَلُهمْ فِيْ التَّوْرَاةِ ومثلهمْ فِي الإِنْجِيْلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يَعْجبُ الزُّرَّاعُ لِيَغِيْظَ بِهم الكُفَّار وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيْما﴾ (1)

وظّف النّاظم ***التَّجْنيس الشَّبيه بالاشْتقاق*** بين كلمَتَيْ: (آجَامِهَا، وتَجِمِ)، إذْ ساهم هذا اللون البديعي في خلق فضاء من الإيقاع الدّاخلي المؤيد للغة المدح؛ لكن مدح الصَّحابة كان بفضل بركة، ورفعة المصطفى – صلّى الله عليه وسلّم– لأنَّهم اتَّبعواْ سنَّته، ونَهَجُواْ نَهْجَهُ في سبيل نُصْرة الإسلام.

بَيْدَ أنَّ المتأمِّل لهذا السياق يلمسُ دَفْقَةً تعبيريَّة مُعبِّرة بصفةٍ خاصة عنْ مظاهر الخيال، والوجود؛ لأن النَّاظم يبْني إحساسَه حول تعلُّقه بشخص محمَّد – صلى الله عليه وسلم– وكأنَّه يعيش حالةً من الفَناء، وهو يرْتَمِيْ في أحضان الإملاء النَّفْسي، الذي بدورهِ أصْبحتِ اللُّغة الشِّعريَّةُ مبْنيَّةً على الإشارة، والإيماء، وتتمثل دلالته في مُعانقة البَرْزَخ الخَيَالي لعالم الغرابة، وتوخِّي البساطة في التَّعبير، بالإضافة إلى إطلاق العِنَان للْمواهب الإبْداعيَّة خَلْف التَّصوُّرات التي تبْلغُ إلى حدِّ الأَحلام، والألْغاز، وفي هذا السياق يقول البوصيري:

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تُجِمِ. (2)

(1) سورة الفتح، الآية 29.

(2) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص 235.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

تتجلّى قدرة النّاظم على توظيف البديع في سياق التّوسل بالنبي – صلى الله عليه وسلم– ومن ذلك توظيف ***تجنيس الاشتقاق*** بين كلمَتَيْ: (خَدَمْتُهُ، والخِدَمِ)، وتتمثّل ***دلالته*** في رسم صورة العاطفة الجيَّاشة المواتيَّة لخِدمة سيَّد الخلق، والثَّناء عليه، وفي هذا يقول:

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالخِدَمِ. (1)

2.3 التضاد:

نلْمس في البيت التّاسع التَّضاد بين ***لَفْظَتَيْ:*** (لائِمِيْ، ولَمْ تَلُمِ)؛ لأنَّ الأولى وردت بالإثبات، والثَّانيَّة وردت بالنّفي، وتتمثل دلالة ذلك في التحسُّر على اللائِمِ في الهوى العُذْري؛ حيث يُخاطبه أوّلاً: أعذرني فلست على بدعة، ثم يقدِّم له الدَّليل مقروناً بالنَّفْي، لذلك وردت اللفْظتان مختلفتان في أداء المعنى، وتتمثل دلالة هذا اللون في الإنصاف البَيِّن بين اللَّوم، وعدمه في الهوى العُذري؛ فإذا كان الشيء ذاته مشْتَرَكاً بين إثنين، فَمَنْ أَعْطى لكُلٍّ واحد حقَّه مِنْ دون زيادة فقدْ أَنْصَف.

لا يزال النَّاظم ناصحاً، وموَّجهاً ساعياً لإصلاح النَّفس؛ ففي حديثه عن الإفراط في الأكل نجده يوظف ***التَّضاد*** في موضعين؛ إذِ الجوع يأتي في نقيض الشِّبع، والمخْمَصَة تردُ في نقيض التُّخم، أمَّا الأثر الذي تتركه هذه الألفاظ هو أنَّ الفُضول في الإفراط في الطَّعام يُحرِّكُ الجوارح، ويُثْقلُ النُّفوس في أداء الطَّاعات، وكلُّ هذه التَّعابير تحمل دلالة الحث على الذّكر، وانشراح القلب، بالإضافة إلى صِحَّة البَدَن، ودفع الأمراض التي يتسبَّبُ فيها الإفراط في الأكل؛ فإذا قاوَم الإنسان ذلك، تذكَّر بَلَاءَ الله سبحانه، وتعالى بِكَسْر الشَّهْوَة، والاسْتِيلاء على النَّفْس الأمَّارة بالسُّوء، وفي هذا يقول:

وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ. (2)

تظهر براعة الأداء التَّعبيري من خلال توظيف ***التَّضاد*** في عبارة: (أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا)؛ وهذا دليلٌ على أنَّ الطَّاعة تُشيرُ إلى رُشد الإنسان، وصلاحه، بينما تشيرُ لفظة الغي إلى الكُفر، والخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى. أمَّا ***دلالته*** فتتمثل في إبراز الحاجة إلى تذكُّر يوم الحسرة في عصر طُغْيان الماديَّات، والشَّهوات، والانْحراف على منهج ربِّ

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 236.

(2) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص228.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

السَّماوات، والأرض، كما يُبْرِزُ عاقبة قساوة القلب، وهُجران كتاب علَّام الغيوب، بل – ومع الأسف– تجد النفوس ساهيَّة لاهيَّة، وهائمة في لُجج الدُّنيا، وأوْدِيَّتها، وفي هذا يقول الناظم:

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ. (1)

يُدرك المتأمِّل لهذا البيت مدى تضرُّع الشَّاعر للمولى سبحانه وتعالى، وذلك بالوقوف على مشْهد الحسرة الذي يقضي على المعايب، ويسكن الألم الموجود بقُلوب المسْتضعفين، لكن الجميل في هذا السِّيَّاق أنَّهُ نوعٌ من الاستغفار، فعلى ذلك نجدُ أنْفسنا أمام ثُنائيَّة عجيبةٍ، إذْ ثبَتَ ذلك بالدَّليل القاطع قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ والإِبْكَارِ﴾ (2)

ومن كُلٍّ، هذا، وذاك يتجلَّى صَبْرُ النّاظم على الشَّدائد، فبالرغم من أنَّها مكروهة لدى النَّفس، إلَّا أنَّ الله يكَفِّر بها الخطايا، ويرفع بها الدَّرجات، كما أنَّ الكُرُبات تُرفعُ بالمبادَرة إلى التَّوبة، ومن ثمة اللُّجوء إلى رب الملكوت، حيث أَظْهَر الناظم حاجَتَه، وافتقاره إليه، فإذا صحَّ الاعتراف بالغفلة؛ والتَّفريط في جنْب الله، فإنَّ الله سبحانه وتعالى سينصرُ عبْده مهما عَظُمَتِ الذُّنوب، والمعاصي.

يعتكفُ النّاظم في الاستغفار مُتحسِّراً، وآسفاً، إذْ يظهر ذلك من خلال توظيف ***التَّضاد*** بين كلِمَتَيْ: (الدِّين، والدُّنْيَا)، إذْ يتجلى التَّضادُ بشكل بارز من خلال التَّحسُّر على الفوز بالدُّنيا، ورجاء الفوز بالحياة الباقيَّة، ونعيمها، بيْدَ أَنَّ الخسارة لفظٌ مَمْقوت، ومُدَمِّرٌ للأبْدان، أمَّا سببُ ذلك فهو التَّفريط في طاعة الله ورسوله، لكن دلالته تتمثل في توجُّع البوصيري مِنَ الخسارة الدُّنيويَّة، بالإضافة إلى تأثُّره بتلك الفاجعة، حتى بَدَا قلِقاً نفسياً بسبب تأييد زهرة الدُّنيا، ومفاتنها الزَّائلة، بيْدَ أَنَّ شكوى الحال تبْرزُ طلب تخفيف الكُرُبات، بتفريج الهُمُوم، وفي هذا يقول:

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ. (3)

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 236.
(2) سورة غافر، الآية 55.
(3) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص 236.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

مزج النّاظم بين كلمتي: (العَاجِل، والآجِل) بوجه ***التَّضاد***، فالشَّيء الذي يُحقِّق الطِّباق بينهما هو أنَّ العاجل يتعلَّق بالحياة الفانيَّة، وزُخْرُفِها، والآجل هو ما قدْ يتركه الله سبحانه وتعالى لعبده جزاءً على طاعته، والعمل وفق ما جاء به رسوله الكريم، وفي هذا يقول:

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ يَبِنْ لَهُ الغُبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ. (1)

وظَّف النّاظم ***التَّضاد*** في صدر البيت بين كلمتي: (الرَّاجِي، والمكَارِم)، كما وظَّف تجنيس الاشتقاق بين كلمتي: (يُحْرِمَ ومُحْتَرَمِ)، أما الدلالة التي تتركها تلك الرَّحابة البديعيَّة تتمثل في كون الرَّجاء منْ مُوجبات غفران الذُّنوب، كما يعدُّ سبباً مباشراً لنيل الشَّفاعة المصْطَفويَّة، وفي هذا يقول:

حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ أَوْ يَرْجَعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ. (2)

يتجلّى ***التَّضاد*** بين كلمتي: (الكَرِيم، ومُنْتَقِم)، إذْ يدعو الناظم إلى اجتناب الضَّيق، والهروب من مَنْجَاة الله عز وجل، كما يبرز هذا السِّيَّاق التَّقرُّب إلى الله سبحانه، وتعالى بالدُّعاء الذي هو مِنْ أعظم العبادات، إذْ أنَّ تحرِّي الأوقات فيه أكسب النّاظم حماساً، ورغبةً في العودة إلى سيرة المصْطَفى، واتِّباع طريقه، وفي هذا يقول:

وَلنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي إِذَا الكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ. (3)

تظهر حياة التَّواضع وتفضيل الحياة الآخرة على الحياة الدُّنيا، من خلال ***التَّضاد*** الوارد بين كلمتي: (الدُّنْيَا، وضَرَّتَها)؛ لأن الضَّرة تشير إلى الآخرة، وتتمثّل دلالة السّياق في التَّشجيع، والحث على التَّحلِّي بالجود، والكرم؛ لأنَّه يُقرِّبُ الإنسان مِنْ ربِّه، لما في ذلك من رُشْدٍ نحو قبول الله تعالى، وكسب مرْضاته، ورضوانه، وفي هذا يقول:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ. (4)

وبعد ذلك دعا النّاظم إلى عدم القنوط من رحمة الله، باعتباره كبيرةً من الكبائر، فما هي الظَّاهرة البديعية التي أردفها بذلك؟، وما الهدف منها؟.

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 236.
(2) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 227.
(3) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 237.
(4) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 237.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

وظّف النّاظم ***التَّضاد*** بين كلمتيْ: (الكَبَائِر، واللَّمَم)؛ لأنَّ هذه الأخيرة تدلُّ على صغائر الذُّنوب التي يُمْكنُ غفرانُها، بينما تدلُّ الكبائر على اضطراب نفسية صاحبها؛ لأنه إذا لم يُبادر إلى التَّوبة، وأدركَتْهُ المنُونُ فهو آثمٌ، ومصيره نار جهنَّم، إذْ تتمثّل دلالة هذا السِّيَّاق في تبيان خُطُورة القُنوط من رحمة الله، والمبادَرة إلى تصْحيحها بالتَّوبة التي مِنْ موجباتها النَّدم على المعصيَّة، وفي هذا يقول:

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ. (1)

لكن المبادرة إلى التوبة تجعل المذنب يسيرُ قَدَر المسْتطاع نحو ما يُقرِّبُهُ من الله، وطاعته؛ مِصْداقاً لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيْ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِنْ رَحْمَةِ الله إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيْعاً إِنَّهُ هو الغَفُورُ الرَّحِيم﴾ (2)

إذا بَادَرَ المذنب إلى التَّوبة، وأحسن الظَّنَّ بربِّه، ولم يقنط فإنَّه سيتُوبُ عليه مهما عظُمَتْ ذُنوبُه، لكن يجب الحذر من خواطر الشَّيطان التي تنْتابُ القُلوب، وتُراود النَّفوس، بل يجب رد الوساوس، وتذكُّر رحمة الله، ورضوانه، كما أنَّ ذِكْر الله سبحانه وتعالى يعمل على تفعيل عمل القلب، واللِّسان، وتنشيط الجوارح بالإيمان، واليقين.

يمكن القول أنَّ حظَّ البُردة البوصيريَّة من ***تجنيس الاشتقاق*** كان مُقارباً لحظِّها من ***التَّضاد***، ومن أمثلة هذا الأخير قوله: (الصِّدق والصِّدِّيق)، لكن الاختلاف الحاصل بينهما يعود إلى كون الصَّادق اسم فاعل من الصِّدق، وهو قول الحق، والعمل به، إذْ يشير إلى موافقة تلك الأخبار للواقع، أمَّا الصِّدِّيق فهو أعلى مرتبة من الصادق؛ لأنَّه صادقٌ في قوله، وفعله، حتى عانَقَتْ قواهُ أوامر الله، ورسوله عليه أفضل الصَّلاة، وأزكى التَّسليم، وتتجلى دلالة هذا السِّيَّاق في الدَّعوة إلى الحفاظ على سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في زمَنٍ كثُرَ فيه الطَّعن في أوْساط الذين كفرواْ.

3.3 الطباق والتورية:

تضمَّن البيت الثَّالث ***الطِّباق*** في موضعين؛ حيث نلمس تضاداً بين كلمتي: (اكْفُفَا، وهَمَتَا)، وبين كلمتي: (استفقْ وبَهِمِ)، فَإِنْ كان التَّضاد قائماً بين الكلمة، وضدِّها، فهو أيضاً

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 237.
(2) سورة الزمر، الآية 53.

بارز بين فعل الشرط الذي كان أمراً في كِلْتا الحالتين، وجوابه الذي كان فعلين مُضارعين مُثْبَتين، دالين على المستقبل، كما نجدُ تعارضاً بين العقل، والعاطفة؛ إذْ أنَّ كلمتي: (اكْفُفَا واستفق) تُشِيران إلى الهروب من شهوات النَّفس الإنسانيَّة، وغرائزها، في حين أنَّ كلمتي: (هَمَتَا، ويَهِمِ) تدل علة الاسْتِسلام إلى ملذَّات، وشهوات النَّفس، وبالتَّالي تحقيق رغبتها، ومبتغاها، وفي هذا يقول النَّاظم:

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ: اكْفُفَا هَمَتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ: اسْتَفِقْ يَهِمِ؟. (1)

تمحور البيت السّادس حول ***الطباقّ*** بين كلمَتيْ: (تُنْكرُ، وشّهِدَتْ)؛ فَإِنْ كانَتِ الشَّهادة تدلُّ على الثُّبوت، والإقرار بحصول الشيء، فالنُّكْران يكون مُضاداً لها، لكن الناظم هنا لا يُنكر الحُبَّ نُكْراناً حقيقياً، بَلْ يُبادر بالاعتذار من الله – سبحانه وتعالى– على التَّفْريط في طاعته، فيعتذرُ مُبْرزاً اجْتناب ارتكاب الآثام حِيَّال ذلك، وهذا هو طبع المتصوِّف القائم على ***الزَّهبة***، والقول بالتَّفْريط في طاعة رب الملَكوت، وفي هذا يقول النّاظم:

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حَبّاً بَعْدَمَا شَهِدَتْ بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ؟.(2)

تضمَّن البيت الثّامن ***الطِّباق*** بين كلمتي: (اللَّذات، والألَمِ)؛ لأنَّ اللَّذات تدلُّ على الفَرَح*** بينما يدلُّ الألم على الوَجَع، والانْكسار النَّفسي؛ لأن المعروف عن الغريزة الإنسانيَّة أنَّها تتعلّق باللَّذة، وتنفر من الألم، و تتمثّل دلالة هذا السِّيَّاق في الكشف عن المتاعب، والمشاق التي تصاحب اللَّذة؛ فلو أَصَابت الإنسان نشوةٌ آنيَّة، يراها العقل، أوْهاماً في الخيال.

لكن الرُّؤية الإسلاميَّة تنظر إلى الحياة الخالدة، والأبَدِيَّة على أنَّها نِتاج الحياة الدُّنْيويَّة، وكُلُّ ما يتعلَّق بهذه الأخيرة يكون ذا قيمة سلبيَّة؛ لأنَّ لذَّة الدُّنيا ليست قابلة للقيَّاس

(1) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص 227.

(2) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 227.

*** بالغ الصُّوفيَّة في تركيب رمز المرأة بأمشاج من مذهبين رائدين في فن الغزل، فأخذوا من الغزل الصريح شيئًا من الحسية الشهوانية، والتغني بمظاهر الجمال، واستعاروا من الغزل العذري لغته المفعمة بالتعالي، والطّهارة، والعفة، والمعاناة، والرومانسية التي تدور حول الهجر وتمني الوصال، ومن ثمّة كان همهم الوحيد العيش في فرحٍ، باستحضار صورة المرأة، والحنين إليها، باسترجاع الذكريات. (ينظر، صلاح الدين التيجاني، الكنز في المسائل الصوفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1999، ص 130).

مع عذاب الآخرة، كما أنَّ التَّجارِب القاسيَّة المتعلِّقة باللَّذة تؤدِّي حتماً إلى مرارة الظروف المستقرَّة في مُسْتَنقع اليَأس.

يتمحور البيت عينُه حول نصائح مُقترنة بظواهر بديعيَّة منها ***الطِّباق*** بين كلمتَيْ: (كَسْرَ، ويُقَوِّي)؛ لأنّ الكسْرُ يوافق الهوَان، والضّعف، ونقصان قيمة الشيء، أمَّا يُقوِّي توافق زيادة قيمة الشيء، ولمَّا كان المعنى قائماً على التَّناقض بين رفض الشَّهْوة، والنُّزوع نحو المعاصي وردَتْ المعاني مكْسُوَّة في قالب من التَّضاد، بيْدَ أنّ الطَّعام المقصود في عجز البيت هو زيادة المآثم، والمعاصي، والإفراط فيها، وهو ما يؤازر النَّفس الإنسانيَّة، ويُقوي عملها.

يوظّف النّاظم ظواهر بديعيَّة؛ منها ***الطِّباق*** البارز بين لفظتي: (تُهْمِلْهُ، وتُفْطِمْهُ)؛ لأن الإهمال يوافق التَّرك، وعدم مراعاة الشيء، والنَّظر فيه، حتى وإنْ طَغَت غريزته على عقله؛ فلذلك يجب تأديب النَّفس بالفِطام؛ بإبعادها عن المعاصي طوعاً، أوْ كرْهاً، ووَضعها تحت عينِ المراقبَة الأَبَدِيَّة، وفي هذا يقول:

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تُفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ. (1)

إنْ كانت تربية النفس، وتزْكيتها ضرورةً واجبة، استجابةً لأوامر الله تعالى؛ فإنَّ فِطامَها عن الذُّنوب يُعدُّ ضرورةً مُلِحَّة للتَّفاعل المؤثِّر في الكَيَان الإجتماعي، والسُّلوكي، أمَّا الإهمال المقرون بالفِطام فهو مَكْسَبٌ أخْلاقي باعتبار الأسرة النَّواة الأُولى للرَّفع من الرُّقي الإنساني، والتَّعايش الحضاري.

يتجلّى ***الطِّباق*** بين كلمتي: (مُنْصدع، ومُلْتَئِم)، إذْ أضفى هذا اللون البديعي على المعنى، واللُّغة نوعاً من الحسرة، والأسف على تصدُّع الإيوان الذي بدوره يُحيلُ إلى عدم ثبوت قوم كسرى على رأي واحد يجمعهم على كلمة الحق، بلْ وقفواْ حَيَارَى على صورة ذلك اليوم. أَهُو رَسْمٌ، أَمْ مشْهدٌ لعِراكٍ حقيقي؟.

وظّف النَّاظمُ ***الطِّباق*** بين كلمَتَيْ: (النَّار، والنَّهر) بالإضافة إلى ***التَّورِيَة المرشَّحة*** في قوله: (ساهي العين) أمَّا التَّضاد الحاصل بين الكلمتين مفادُهُ أنَّ الأولى تدُلُّ على الحرارة الباعثةٌ على الهول، والأَسف، أمَّا الثَّانيَّة فتشيرُ إلى البُرودة الموحيَّة بالجزاء الحسن، كما

(1) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص 228.

تحمل النَّار دلالة اشتعال مسلسل الفِتنة، والغضب، بينما يدل الماء على السكينة، والاطمئنان، وفي هذا يقول:

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي العَيْنَ مِنْ سَدَمِ. (1)

تتمثلُ دلالة ***الطِّباق*** في التعبير عن تحوُّل الزمن الذي ساده الفساد، والجهل، والعصبيَّة، والغضب قبل ولادة المصطفى – صلى الله عليه وسلم– إلى زمان تسودُه الرَّاحة النَّفسيَّة والهُدوء، والاستقرار، بالإضافة إلى أنَّ ارتكاب الذُّنوب، والآثام السَّائد في زمن الجهل، والغي تَغَيَّر بفضل زمن الطَّاعات إلى هُدوءٍ، ورشادٍ قاضيان بالكمال الخُلُقي، أمّا التّوريَّة المرشحَّة فتدلُّ على معنيين؛ معنى قريب يدل على سكون ماء النَّهر، واستقراره دون جريان، أو اضْطراب، ومعنى بعيد يدلُّ على الحيرة، وتحوُّل سعة التَّفكير إلى جمود عقلي.

وظَّف النَّاظم ***الطِّباق*** بين كلمتَيْ: (ساجدة، وتمشي)؛ لأنَّ السُّجود هنا بمعنى الانْحناء، والخُضوع لسلطان الرَّسول – صلى الله عليه وسلم– والامْتثال لأوامِرِه، فالمشْيُ يُعبِّرُ عن الحركة التي تَتَنَافَى وذلك، إذْ يُظْهِرُ هذا التَّناقض وجْهاً من أوجُه النُّبُوَّة، لكنَّ اتحادُ تلك المعْجزات التي جاءت مع ولادة الرَّسول – صلى الله عليه وسلم– هو الطَّريق الصَّحيح المعتدِل، الذي لا تشوبُه شائبةٌ، وإنْ كانت الأشجارُ أوَّلَ مَنْ خضع، وتذلَّل، وامْتَثَل لسيِّد الخلق، فكيف لنفْسٍ إنسانيَّة ألَّا تُصدِّق، وتعتبر بتلك المعجزات، وتُسلِّم بأحقِّيتها؟.

يقول النَّاظم في هذا السّياق:

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَةً تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ. (2)

وظّف النّاظم ***الطِّباق*** بين كلمتَيْ: (مَخْدُومٍ، وخَدَمِ)، إذْ تدلُّ المخدوم على السِّيد المطاع الذي يتعالى بمكانته عن الخدَم، وهم المحكومين الذين يخضعون لأوامر الآمر، وينفِّذونها دون تحريف، وتتمثل دلالته في نشر السِّلم، والإسلام بين النَّاس، وتحريرهم من العقائد المزيَّفة التي تسلبهم إرادَتهم، وأموالهم، وتزعزع دينهم القائم على نظام الشُّورى، وكُلُّ هذه النِّعم الرَّبَّانيَّة رَفَضَتْ الحكم بظاهر الأقوال، والأفعال، والأدلَّة الظَّنِّيَّة المشكِّكة في عقيدة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كما جاء التَّقديم بموجب تحلِّي رسول الله بالاطمئنان، فلمْ

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 231.

(2) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 232.

تُرْهبه العُدَّة، ولا العتاد الذي أتى به المشركون في الحرب، فلا اعتبار للكثرة، أو العدد؛ بدليل أنَّ الأصل في المواجهة، والقتال هو ترسيخ قوة الإيمان الجازم بأنَّ النَّصر بيدِ الله سبحانه وتعالى.

4.3 مراعاة النظير:

وظف النَّاظم مراعاة النَّظير؛ ويتمثّل في الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبة على وجه، أوْ أوجه ما، على خلاف التَّضاد[1]. ودلالته تتمثَّل في الجمع بين الصَّرف، والتَّوليَّة في هوى النفس، ولمَّا شبَّهها بالطِّفل الذي يجهل الخبيثَ مِن الطَّيب وجَبَ عليه أنْ يُرْدِف الحديث بالأمر، والنَّهي المقرون بالنُّصح، والإرشاد الذي ينصبُّ أساساً على عدم جعل النَّفس والياً، أو أميراً على هواها، ورغباتها، وفي هذا يقول:

فَاصرْفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ إنَّ الهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ. [2]

نجد في البيت ذاتِه ***مراعاة النظير***؛ من خلال الجمع بين العين والقلب في سياق واحد لا على وجه التَّضاد، أو التَّعارض اللَّفظي؛ وإنْ كانت العين حاسَّة للرُّؤية، ونعمة من الله سبحانه وتعالى، فإنَّ القلب هو المِنْظار الذي يتطلَّع من خلاله الإنسان لما سيحدث؛ لذلك تَعَالَقَت المعاني بعضها ببعض، حتى تبدو وكأنها نسيج واحد، متشابكٌ، ومركَّب.

نلمس ***مراعاة النَّظير*** من خلال الجمع بين أمرين متناسبين، وذلك في قوله: (كَمْ حسَّنَتْ لذَّةَ)، فإنْ كانت اللَّذةُ تتمَحور حول الخروج مِنْ دائرة الأَلم، فإنَّ التحسين يتعلَّق بتزيين ما يُغْري النَّفس، ويقودُها نحو كلِّ ما تراه جميلاً؛ إذْ تعتقد أنَّ بعض الأفعال التي تهْواها مبْعثاً للنَّجاح، والسُّرور.

لا شكَّ أنَّ تحسين اللَّذة يتعلَّق بالشُّعور بالرِّضا عن النفس، والإعجاب بها؛ إذْ أنَّ ذلك يجعلها في حالة من السَّعادة، والنَّشوة؛ فإذا أحسَّ الإنسان بالتَّميُّز عن الآخرين بعلو منزلته، عليه أنْ يُراجع نفسه، بِتذكُّر حاله مع ربِّه، وهو يتعرَّضُ للمدح؛ لأنَّ الرِّضا عن النَّفس، والإعجاب بها مِنْ أمْراض القلوب التي تؤدِّي بصاحبها إلى غضب الله سبحانه

(1) ينظر، أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (م. س)، ص267.
(2) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص228.

وتعالى، ولما كان التَّحسين، واللَّذة يتناسبان مع تأييد هوى النَّفس أَرْدَفَ النّاظم ذلك بذمِّ اتِّباع الهوى، والاحْتراز من الدَّواهي، والعواقب؛ باعتبار أنَّ جميع المعاصي تَلِدُ مع إيْثار الهوى على محبَّة الله سبحانه، وتعالى.

يزداد تعبير الشَّاعر حول الحث عن الابْتعاد عنْ شرور النَّفْس، من خلال تحذيره من الشَّر، والوقوع فيه؛ فإنْ كان النَّحل يبحثُ عنْ رحيق الأزهار ليصنع عسلاً طيِّبَ المذاق، فالنَّفس الإنسانيَّة تظل تبحث عن التَّقي، والخيِّر من العباد؛ لتأخُذ منه طهارة القلب، وجميل الطَّباع، وإذا صحَّ للإنسان الإيمان بأنَّ السُّمَّ، والدّسم يجتمعان تحت مظلَّة واحدة، فإنَّه سيُنَزِّهُ نفسه عن الهلاك، والغي، والضَّلال.

لمْ يَكْتَفِ النَّاظم عند هذا الحد، بَلْ نجده يوظف ***مراعاة النَّظير*** من خلال الجمع بين الكلمات: (الكونَيْن، الثَّقلين، والفَريقين)، أمَّا دلالته فتتمثل في التَّبْجيل، والتَّقدير القاضيان بالعَظمة، والتَّعالي، والتَّنْزيه عنْ سائر المنكرات، بالإضافة إلى الانْفراد بالكمال الإنساني، وفي هذا يقول:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ وَالفَرِيْقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ. (1)

كما أنَّ الرَّسول – صلى الله عليه وسلم– كان يعرف حال الجماعة، ويتولَّى سياسة رُشْدها، وهدايتها نحو الطَّريق الحسن، أمَّا كونه سيد العرب، والعَجَم فهو دليلٌ على مساندته لهم، والسَّعي إلى إصلاح ذات بَيْنِهم، وتنْزيههِم، وإبْعادهم عن الانغماس في الشَّهوات.

5.3 الإغراق:

وظف النّاظم ***الإغراق*** في البيت الأول؛ إذْ جمع جملةً من المعاني القائمة على الأوْصاف؛ بالإضافة إلى أنّ حالة الجيران تستدعي التَّذكُّر، واستحضار زمن الوصال بالمكان المسمى: (ذو سلم) أمَّا إذا ارتحل أهله فلم يعد للذِّكريات، ولا للتَّذكُّر أثر يُذْكر، وهو ما يحيل إلى استحضار الدَّمع، ثمَّ البكاء على حال الجيران، حيث صاحب ذلك حثْمية الأسف وكأنَّ الموقف موقف خراب للدِّيَّار التي كانت مؤنسة بعدما صارت موحِشة، بعد

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 229.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

رحيل أهلها، وهذا ما يدُلُّ على براعة الاسْتِهْلال** لأن النّاظم وهو في مقام غزلٍ، وشكوى، يستحضر كذلك وصف الطَّلل، والبكاء على آثار الدِّيَّار.

6.3 الحشو:

نلمس في البيت الأول نوعاً آخر من البديع، وهو ما يسمى ***بالحشو***؛ لأن الشَّاعر كرَّر المعاني بشكل غير بارز، إذْ كاد أسلوبه يكون ركيكاً لخلوه من الدَّهشة المثيرة للجدل، والاستنتاج الذي يعدُّ التَّرابط العضوي جسراً مؤدِّياً له.

لكن الزِّيادة على معنى البيت أَفَادَتْ نوعاً من الإضافة التي بدورها تؤدِّي إلى المعنى، إذِ المعروف أنَّ الدَّمع لا يسري إلاَّ من مقلة العين، فكان من الأَجدر أن يُحْذَفَ شبه الجملة في هذا السِّياق بَيْدَ أنَّ حذفه يترك إبْهاماً في النَّفس، أمَّا دوره فيكمن في الإيضاح، والإبانة. بيْدَ أنَّ الحشو فعاليَّة نقديَّة، بلْ هو سنَّة من سنن النُّصوص الشِّعريَّة، التي تبعث في المتلقي التَّنبؤ بالرِّسالة التَّواصليَّة، التي يعمل الشاعر على تحقيقها حِيَّال التَّعبير عن تجربته الشِّعريَّة.

يعمل هذا القسم من البديع على تفعيل حيز الموسيقى والإيقاع في بنية النص، إذ ينتظم في مُدَدٍ زمنية متساوية أو شبه متساوية؛ لأن المسلم به في الدراسات اللغويَّة، والأسلوبية، والنقد الأدبي أَنْ تكون للمقول إيحاءات عاطفية وهي لا تخفى على المتلقين الاعتياديين، وإنْ كانواْ لا يجيدون التعبير عنها تعبيراً عملياً في الأعم. (1)

يهدف الحشو إلى الكشف عن جوانب الطُّول في القصيدة، ومن ثمة يعمل على بلورة الرُّؤية الإبْداعيَّة المشكّلة للإلهام الذي مردُّه إلى اللَّاوعي الحاصل في نفسية الشَّاعر، حيث يتشكَّل اللَّامرئي الذي يحتاج إلى مُدَّة زمنيَّة تختلف باختلاف الحالات، والنَّوازع النَّفسيَّة

** **براعة الاستهلال:** يسميه علماء البديع: حسن الابتداء، وهو مِنْ أحسن المعاني؛ لأنه يسوق السَّامع إلى البحث عن الخفي، وبالتَّالي الفهم قبل الدُّخول إلى عالم النص الأدبي، وذلك بتحلية الألفاظ، وجعلها أكثر عذوبة، وخفة على السَّمع. (ينظر، أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج/01، دار الشؤون الثَّقافيَّة العامة، بغداد، د.ط، 1989، ص 425).

(1) ينظر، محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى– أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط 02، 2007، ص 192.

لدى الشَّاعر، لكن تلك المواقف تختلف باختلاف المقام الذي ينزع نزعة غير مباشرة؛ بغية إثراء حالات التعبير عن المكبوتات، والأحاسيس.

7.3 رد الصدر على العجز:

أكثر الشاعر من توظيف ظواهر البديع؛ ومِن بينها: ***ردُّ الصدر على العجز***؛ بتكرار كلمَتَيْ: (الخصْم، والحَكَم) في صدر البيت وعجزه، أمَّا الدَّلالة التي يتركها هذا السِّيَّاق فتتمثل في إبراز براعة الخَصْم، والحَكَم في توجيهات النَّفس الإنسانيَّة، إنْ خيراً، فَخيراً، وإنْ شراً، فشراً، وفي هذا يقول:

وَلَا تُطِع مِنْهُمَا خَصْماً وَلَا حَكَماً فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ. (1)

8.3 التّكرار والتكرير:

ركّز ابن قتيبة على الدّور الذي يلعبه التّكرار في صناعة الكلام قائلاً: « وأمَّا تكرار الكلام من جنس واحد، بعضه يجزئُ عن بعض (...) فالقرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذهبهم، ومن مذهبهم التّكرار، إرادةُ التّوكيد، والإفهام» (2)

يُعدُّ ***التّكرار*** فرْعاً من فروع التَّأكيد، زيادةً إلى أنَّه يكسب الكلام فائدةً، فإذا تكرَّرت المعاني تمكَّنت في النُّفوس، وتقرَّرت في الأذْهان، وثَبَتَ وجودُها، بيْدَ أنَّه مِنْ جانبٍ آخر حِليةٌ لفظيَّة، تعمل على تنميق فضاء الإيقاع، إذْ يتجلَّى المغزى، والغرض من التَّعبير من خلال الإبانة، والإيضاح، ومن أمثلة التكرار قول الناظم:

هُوَ الحَبِيبُ الذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوْلٍ مِـنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ. (3)

تتمثّل ***دلالة*** اللون البديعي ذاته في إبراز شدَّة هول يوم القيامة، بالإضافة إلى الحث، والتَّشجيع على كسب سرور الفؤاد، وشفاعة الرَّسول – صلَّى الله عليه وسلم– وكأنَّ الهول الذي يشيرُ له الشَّاعر هنا هو بمثابة الاختلاط بين الرِّجال، والنِّساء يموجُ بعضهم يومئِذٍ في بعض، فيبلغ الضجر منْتَهاهُ حتى ترى صورة تلك الواقعة، وكأنَّها اجْتماع النَّاس يوم الحشر، فلا مخرج، ولا مَنْفذ لهم، وإنْ كان الرَّسول – صلى الله عليه وسلم– مبْعوثاً

(1) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص 228.

(2) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، مكتبة دار التّراث، القاهرة، د.ط، 1997، ص 235.

(3) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص 230.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

رحمةً للعالمين، فكيف لا يحق لعبْدٍ تائبٍ أنْ يسْعى للظَّفر بشفاعتِه يوم لا ينفع مالٌ، ولا بنون؟.

أمَّا سبب اخْتيار رسول الله – صلى الله عليه وسلم– شفيعاً هو أنَّ تلك الميزة تتطلَّبُ قدراً عالياً من مرْضاة الله عزَّ وجل، كما لا تَزِنُها مِثقال ذرَّة منْ أيِّ عملٍ صالحٍ بلْ هي قِسْطاسٌ مِنْ لدُن صراطٍ مسْتقيم، يؤتيها الله لمنْ كانت حجَّته داحِضة، لا يتراءى بالعبادة، فيتَّبع سُنَّة الأوَّلين، وإمام المرْشِدين، والخبيرُ بشؤون العالمين.

وما يؤكِّد سياق التفريق بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وسائر الأنبياء هو ما أبْهر سائر العالمين بمناسبة ولادته، إذْ يتجلَّى ذلك من خلال قوله:

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ. (1)

تتمثَّل دلالة الظاهرة البديعيّة في التّبشير بالخيْر، والسَّعادة، بالإضافة إلى إخراج البَشريَّة من الظُّلمات إلى النُّور، وإرْشادهم إلى عبادة الله سبحانه، وتعالى بَدَلاً من عبادة الأَصنام، والأوثان، ومناصرة دين الله بدلاً مِن مناصرة العصَبيات الدَّاعيَّة إلى سفك الدِّماء، والتَّفاخر بالأحْساب، والأنساب، والحرص على الشَّرف، والسُّمعة، إذْ أنَّ كلَّ ذلك يُفْضي إلى حروب، ومعارك بين القبائل على الرُّغم مِنْ تفاهة العوامل المؤدِّية لها.

يقول البوصيري:

سَرَيْتَ منْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمِ كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ. (2)

يظهر ***التَّكرير*** من خلال تكرار لفظة: (حرم) في صدر البيت، أمَّا دلالته فتتمثل في الاعتزاز بمعجزات رسول الله – صلى الله عليه وسلم– التي أَثَارَت في المشركين شيئاً من الدَّهْشة، والتَّعجُّب، وهو ما زاد المؤْمنون يقيناً من سلْسَبيلٍ، ولؤلؤاً أنارَ وجوهَهم، ورفع مكانتهم بفضل تأييد محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا يقول البوصيري:

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ. (3)

9.3 التلميح:

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 230.

(2) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 234.

(3) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 234.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

وظف النّاظم ***التّلميح***؛ من خلال الإشارة إلى هزيمة كسرى دون اللُّجوء إلى التّفاصيل، كما أنَّ نار الفُرْس التي توقَّدت في الإيوان خَمَدَت مع ولادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فالموقف هنا موقفُ تعجُّب يحثُّ العاقل، والحاذق على الانْبهار بهذه الشَّخصيَّة التي خضَعَت لها سائر الموجودات، وفي هذا يقول:

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ.(1)

تتمثل الدّلالة التي يتركها هذا النوع من ***البديع*** في التَّبشير، والإنذار بالغمِّ، والهم الذي أصاب ذلك البناء العظيم، وتلك دعوة صريحة إلى الابْتعاد عن الفتنة، والعِراك الدَّاعي إلى الخراب، والخُسران المبين.

10.3 تشابه الأطراف:

نلمس ***تشابهَ الأطراف*** في تعبير النّاظم عن تلك الهُتافاتُ التي أحدثتها الجنُّ+ وكأنّها الحق المبين الذي يعبِّرُ عنه الكلام، ومعانيه، حيث نوَّه النّاظم في صدر البيت بالصُّراخ الدَّال على رفع الصوت، وهو ما يفرض التَّأكيد على الفوز، وإعلاء كلمة الله، المؤيِّدة لما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم– من خُلق، وعلمٍ، ورحمة، وفي هذا يقول:

وَالجِنُّ تَهْتِفُ وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى وَمِنْ كَلِمِ. (2)

يترك هذا النوع من البديع في النَّفس حفاوة مُكلَّلة بالزُّهور بفضل النُّور، والنَّصر المبين الذي يمُدُّ السَّامع كأساً صافيَّة من المحبَّة الرَّبانيَّة، باعتبارها الوقود الأَعظم الذي يبعثُ الأُسوة الحسنة في النفوس، وإنْ كانت المعاني شُعلةً نيِّرةً، فما ذلك إلا بركة لتلك الولادة المباركة التي زرعت الأرض حناناً، وزيَّنَتِ القُلوب عطراً، وأنواراً.

تتمثَّل ***دلالة*** هذا النوع من البديع في الكشف عن كيفيَّة تأييد الله سبحانه، وتعالى لنبيِّه، وتبيان معالم نبوَّته، والإقرار باستجابة دعائه، ونُصْرته حتى ظلَّ المشركون حَيَارى،

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 231.

+ من الآيات التي ظهرت مع مولد النبي أنَّ الشياطين رُميت وقُذفت بالشُّهب من السماء، لكن المشهور والمحفوظ أن قَذْف الشياطين بالشُّهب وقع مع بعثته صلى الله عليه وسلم، كما أن إبليس حُجِب عن خبر السماء فصاح ورنَّ رَنَّةً عظيمةً، ورنَّ حين وُلد سيد الخلق، وكُلُّ هذه الهتافات أحْيَتْ قلوب العارفين، وولدت الرحمة، والسكينة. (ينظر، محمد سعيد، غيبوبة العقل أم اختطافه؟، جريدة الدّستور، الأردن، ع: 17763، 04 يناير 2017، ص 05).

(2) البوصيري، الديوان، (م. س)، ص 231.

مُعَوِّلين على قتله ليلة الهجرة، لكن الله كتب له الأمَان، الذي تعالى فوق مؤامرات الكَفَرة، حتى انْبهر العاقل بكيفية تأسيسه – صلى الله عليه وسلم– للدَّولة الإسلاميَّة في ظل تناحُرات أعدائه.

11.3 حسن المقطع:

خير ما نختم به في عرض الزَّخم الهائل من البديع هو ***حسن المقطع*** الوارد في طلب العافيَّة من البلاء في الدُّنيا، والآخرة، وعلى هذه الوتيرة ختمَ النَّاظمُ الدُّعاء بالصَّلاة الأَبَديَّة على النبيِّ – صلى الله عليه وسلم– أمَّا عنْ ريح الصّبا فهي مِنْ باب مساندته للنَّبي – عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم– لأنَّ مدحه استلزم الأمر بالصَّلاة عليه مِنْ باب مَزْج صفاته الطَّيبة بطيب رائحة النَّسيم الذي يُرافق تلك الرِّيح، وذلك ما يُشْعِرُ الإنسان بالنَّشاط، والحيويَّة، والرَّاحة النَّفْسيَّة، فإذا كان الأمر كذلك نشط الوجدان، وزاد تعلُّق الإنسان بالمحبوب. وفي هذا يقول النّاظم:

وَالطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَـهُ صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَـــزِمِ.
وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَـلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَـةٍ عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَـــــــلٍّ وَمُنْسَجِمِ.
مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَا وَأَطْرَبَ العِيسَ حَـادِي العِيسِ بِالنَّغَمِ. (1)

خاتمة:

يظهر التَّناقض في تعلُّق النّاظم بشَحْنِ لغته بالبديع، وهو ما كان سبباً في اضْطرابه النَّفسي القائم بِشأن التَّضرُّع للْمولى سبحانه وتعالى، ومدح رسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم– غير أنَّ التَّلاحم البديعي الملفُوف في هذا السّياق أَكْسَبَ المعجم الشِّعري نوعاً من النَّورانيَّة الأسلوبيَّة، والأجْمل، والأرْوَع هو أنَّ تلك الرَّحابة المعنويَّة اقترنَتْ بحقول دلاليَّة تعاوَنَتْ جوانبُها؛ بُغْية رسم عبقٍ دينيٍّ صوفيٍّ يرمز إلى أيام الحنين، وتذكُّر يوم رفع راية الإسلام، ونشر الفضائل في كُلِّ زمانٍ، ومكان.

نتائج البحث:

(1) البوصيري، الديوان، (م. ن)، ص 237.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

- ❖ يعدُّ الهُروب من المثُل العُليا التي رسَمَتْ معالم الدِّين الإسلامي نوعاً من الإِعْتِكَاف البديعي الصُّوفي المعبِّر عن الجمال الأسلوبي، وهذا ما يقود النَّفس إلى استحْضار زمن الوصال الكاشف عنْ قيمة اللُّغة، ورُقيِّها؛ وخير دليل على ذلك أنَّ شعرُ المتصوِّف روحانيٌّ، ميثافيزيقيٌّ، نابع من الوجدان، والمشاعر الملتهبة، والمعبّرة عن جمالية اللغة الشّعريَّة في البردة البوصيريَّة.
- ❖ يحمل السّياق الأسلوبي من خلال توظيف البديع أبعاداً، ودلالات مبنية على تحرّر النّاظم من القُيود التي جعلت لغته محصورة في أبعادٍ ضيِّقة، كماَ أَنَّ حلاوة التَّعبير تبرزُ مع مُقْتضى الحال، ومُزاوجة الألفاظ، والمواقف، وجعلها في قالب روحاني باطني، يُظْهِرُ نزعة الشَّاعر الفنّية، حيث كانت هذه الأخيرة عاملاً مباشراً في تحقيق مظاهر الفنُّ، والجمال، والخلق الأسلوبي المبني على الخَرْق، والانحراف العجيب الذي رصد المعجم الشِّعري.
- ❖ يُعدُّ الانحراف عن المألوف مصدر إلْهامٍ فنِّيٍّ، قصْدِيٍّ، لهُ بُعدُه العميق في خلق روحٍ دينيّة معبّرةٍ عن موهبة، وشاعريَّة البوصيري، التي توهَّج سراجُها وفق عالم المديح النَّبوي المعبِّر عن الخُلود، والأمان، والسُّمو، والتَّفرُّد الأسلوبي، الذي أَبْهَرَ النُّفوس المتعطِّشة للتَّذوُّق اللُّغوي الناضج، إذْ كان البديعُ واحداً من الظواهر اللغويَّة لذلك.
- ❖ يُعدُّ حقل التَّصوُّفُ المزَرْكَشُ بالبديع نوعاً من التَّخليد المعنوي الذي كتبَ للبُردة البوصيريَّة الخُلود في سماء المنظومات، والفُنون التي أَكْسَبَتِ التُّراث العربي ذخيرةً لغويَّة، حرَّكت ذوي العُقول الرَّاجحة لمحاولة فهم التَّعالقات الجماليَّة المستقرَّة في جوف التَّعابير المبْتكرة، والمسْتَحْدَثة.
- ❖ الأصل في اللُّغة الشعريَّة هو الوضوح، لكن ذلك لا يمنحها تميزاً وعمقاً فنياً، ولتحقيق ذلك لابُد من إحالتها على مرجعيات، ومعرفة قوانينها الحاكمة، وأدِلَّة تكوُّنها، لكن الدور الأسمى الذي تسعى إليه هو تحقيق الغموض الذي يعكس الحالة النفسيَّة، والشعوريَّة، والرؤى الحسيَّة، والفكريَّة، ومن الظّواهر التي تعكس جمالية اللغة الشعريّة ذلك الحضور الهائل للبديع، بدرجات متفاوتة، تشهد لتلك الظواهر اللغويّة بكونها خصائص نّوعيّة، هي من سُنَن براعة القول الشعري، المكسوِّ بتعدُّد الدلالات، والخرجات الانزياحيَّة.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

- شكلت دلالات التصوُّفُ لدى البوصيري عالماً تجاوزَ حدودَ المألوف من خلالِ الرَّجاءِ، والتَّوسُّلِ، والتَّأمُّلِ في تصوير مشهدِ الإسراءِ، ومن ذلك كانت لغتُهُ لغةً راقية تتَسامى عن اللُّغةِ العاجزةِ عن تصويرِ المشاعرِ، والانفعالاتِ، والخاصيَّةِ التصويريَّةِ.
- سلَّطنا الضوءَ على البديع بشكلٍ خاص؛ نظراً لِما يتضمّنه مِنْ خرجات انزياحيَّة، ودلالات مختلفة، لمشاهد صوفيَّة، أكسبت البنى الإيقاعيَّة، والتّركيبيَّة كسوةً جماليَّة، أمَّا تعلُّقُ تلك الدّلالات بشخصِ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم– هو ما كان عاملاً مُساهماً في بناء شعريةِ المديحِ النَّبوي.
- تتمثَّل علاقة البديع بالإيقاع بمستوييه في خلق تناغم، وترانيم صوتيّة، ووجدانيّة موافقة لانفعال النفس تجاه المواقف المؤيّدة لمدح النبي – صلّى الله عليه وسلم– والإعجاب بخصاله، ومناقبه، كما كانت اللّغة الانزياحيَّة مواتيَّةً للحالات التي سيقت فيها المحسّنات اللفظيّة الملفوفة بالأجراس الموسيقيّة، إذْ لم تكن هذه الأخيرة ضجيجاً، بل عمليّة رائدةً في ترجمة توبة النّاظم، وتضرعه للمولى عزَّ وجل حيّال الاعتراف باقتراف الذنوب في زمن الغفلة.
- تتجلّى جمالية بحر البسيط في التّطلُّع إلى اختراق النظام العروضي السّائد، بإضافة حرف الياء – على سبيل المثال– في أواخر بعض الأبيات، ومن ثمة فإنّ تلك الخاصية تحصيلٌ حاصل لانفعال الشاعر للسعي نحو التّغيير الإيجابي من زمنٍ يسوده الانحراف، إلى زمن يسوده الاطمئنان، والسكينة، إذْ كانت هذه الأخيرة بقدر الحاجة إلى سعي الشّاعر إلى خلق تماسكٍ، وانسجام بين الكلمات، والجو النّفسي المهيمن على ركح العمل الشعري.
- لم يوظف النّاظم المحسّنات البديعية من فراغ، وإنّما قاده لذلك توجّهُه الصّوفي المكسو بعبقٍ روحاني، أبْرز دور النّظم من تكرار، وتجنيس في خلق خرجاتٍ انزياحيَّة، نحويّة، وإيقاعيَّة هادفة إلى تبيان أسرار التّقديم، والتّأخير؛ بمعرفة مقاصدها، ودلالاتها في خلق جماليّة اللغة الشعريَّة، التي كان الحذف سنة من سُننها الرّاميَّة إلى معرفة سر العلاقات التّواصليَّة في حضن البِنى التّركيبية التي تتوارى دلالاتها خلف شعريَّة الخطاب، السّاعيَّة إلى خرق أفق توقعات القُرَّاء.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2588-2139

قائمة المراجع المعتمدة:

القرآن الكريم– رواية ورش.

أوّلاً/– المراجع بالعربيَّة:

01/– أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللُّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج/01، دار الجيل، بيروت، ط01، 1991.

02/– أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، د.ط، 2009.

03/– أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج/01، دار الشؤون الثَّقافيَّة العامة، بغداد، د.ط، 1989.

04/– أحمد مطْلوب، معجم المصطلحات البَلاغيَّة وتطوُّرها، د.د، بيروت، د.ط، 2000.

05/– البوصيري، الدِّيوان، دار المعرفة، بيروت، ط01، 2007.

06/– ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج/01، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط01، 1987.

07/– زكي مبارك، المدائح النبويَّة في الأدب العربي، مطْبعة صَيْدا، بيْروت، د.ط، 1935.

08/– محمد بوزواوي، مصطلحات الأدب، دار مدني، د.م، د.ط، 2013.

09/– محمود رزق سليم، عصر المماليك ونتاجه الأدبي والعلمي، مج/08، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 1965.

10/– محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى– أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط 02، 2007.

11/– مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج/01، مجمع اللُّغة العربية، جمهورية مصر العربية، د.ط، 1889.

12/– صلاح الدين التيجاني، الكنز في المسائل الصوفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1999.

13/– عبد الوهاب حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، د.د، د.م، د.ط، 2000.

14/– ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، مكتبة دار التّراث، القاهرة، د.ط، 1997.

ثانياً/– الجرائد:

15/– خليف غالب، مَنْ هو الدّكاترة زكي مبارك، جريدة الشَّرق، المَمْلكة العربيَّة السَّعوديَّة، ع: 1223، 10 أبريل، 2015.

16/– محمد سعيد، غيبوبة العقل أم اختطافه؟، جريدة الدّستور، الأردن، ع: 17763، 04 يناير 2017.